



إن تتابع الأحداث خلال العام الماضي وحتى الآن، يكشف شيئاً فشيئاً عن قضايا حقيقة، تتبدى معالمها يوماً بعد يوم. والجلي الواضح أن هذه الأحداث تتلون في تتابعها بألوان مختلفة، توجّه ساسة العالم وفق متغيراتها، وتتأرجح المواقف الدولية بشكل غريب على نغمة مجرياتها، وقد بدأت الأحداث في سوريا على أنها متابعة لمسار الربيع العربي، ثم بدت محدودة الأبعاد في داخل الحدود، ومحلية التحرك بين شعب ونظام، واجتذبت - على هذا الأساس - المؤيد والمعارض حسب هذا العمق في اهتزازها، وتجاذبها - في تأثيرها - دول الجوار، في مواقف حماسية، وتعليقات محلية، تمثلت في الزيارات والمشاورات وال العلاقات ومراسيم الصداقات، وتتابع التأثير بهذا المفهوم، وضمن هذه الحدود.

فكان المواقف الأوروبية والغربية الأمريكية، والردود الروسية تدلي بدلوها تجاوباً أو تنديداً، وفق معايير الحدث الداخلي المحدود، كالذى جرى في تونس ومصر وليبيا في بدايات التحرك هنا وهناك.

وكنا نعيش تلكم الفترة بنشوة التأثير الفرنسي والألماني والبريطاني، من خلال مواقف وبيانات ولقاءات ومؤتمرات، أو نقفز طر Isaً لتصريحات الإخوة الأتراك وهم يسلّون على خصومنا السيوف العثمانية مهددين متوعدين، فتطير لزمجراتهم قلوبنا تيهأً وإعجاباً، أما الأقربون، فقد أجمعوا أمرهم، وحركوا جامعتهم، ونفّضوا عنها الغبار بمؤشرات متتالية، أفرزت عروضاً واقتراحات، ورفعت المستوى إلى إنذارات وتهديدات، وترى ثبت في التصرف إلى ما بعد إرسال مراقبين وبعثات، وأصدرت شيئاً مما يسمى عقوبات، وأعلنت أن الأمر قوبل بالعقوق والإعراض، وهذا يستلزم التأديب والفراق، والقطيعة ومنع الإمدادات والأرزاقي.

وقد (شاءت الأقدار) (1) أن تكون سوريا هي نقطة اللقاء، وساحة المبارزة لمعركة هذا الزمان، نعم لقد بدأت الأمور تظهر بوضوح، والأحرف تتشكل كلمات، والكلمات تظهر كعنوانين واضحه لكل من يقرأ المواقف والأحداث، وبدأ الماضي يفسر الحاضر، والحاضر يترجم تحالفات ما سلف من الأيام، وبدأنا ندرك لماذا أصرّ نظام الأب في سوريا على ترك العرب جميعاً لصالح العيون الكحيلة بالسواد في إيران، ولماذا شُغل العراق بحرب أكلت الأخضر واليابس، ولكن جاءت التحذيرات من امتداد الخط الشيعي في بلاد العرب والمسلمين، وفي كل بقاع الأرض، فهي تبذل كل ما تملك كدولة وإمكانيات في تأسيس المراكز الظاهرة والمخفية، وتجذب إليها الطاقات من هنا وهناك، ونحن نتلمس الأعذار، ونلتطف بالاحتجاج، ونرد على المنتقدين بالتأويل والتبرير وتحسين الظنون.

ولكن وبعد مضي ما يقارب العام، بدأ يتبيّن لنا وللآخرين، ولكل مراقب مدقق، ومتأنّل ومحقق، بأنّ الحدث لا يُفسّر هكذا، وأنّ ما يحدث في سوريا ليس كما حدث هنا وهناك، فلقد شكلت الأحداث المتتالية صورةً أوضحت الأمور، وحدّدت للقضية أبعادها الحقيقية، وظهر بأنّ النّظام الوحشي في سوريا ليس نظاماً مقصوداً لذاته، بل هو الخازوق بين قوتين، وعلامة الصراع بين فريقين، ومن تجاوزه انتصر، ومن تخلّف عن العلامة انكسر، والقوتان المتبارزان اللتان بدأت معالّمهما تظهر، وبوارق تجمّعهما تلمع، ورؤوس قيادتهما تبرز، هما قوّة الأطّماع الفارسية، تُخرج من تحت الرّماد نارها، وقوّة المؤمنين بمختلف طبقاتهم ودرجات صحوتهم وتبّاعنات اضطّابطهم.

لقد رأينا كيف تواجد هؤلاء على سوريا وقاموا من خلال زمن طويّل بتحويلها إلى كعبة يحجّ إليها القوم بكلّ خرافاتهم، ويسوسون في كلّ بقعة من البلاد مزارات، ويوثقون مع الناس روابط، ويشترون العوائمه والمؤسسات، ويحفلون الخنادق والأنفاق، ثم ينقلون إلى لبنان العوائمه السوداء، ويتخذون من خلالها معاقل سياسية وعسكريّة أذاقت الجوار اللبناني كلّ أنواع الخسّف، وامتدت لتكون معلول الهدم في البلاد بالتسليط والمؤامرات.

بعد عام من ثورة سوريا ظهرت سوريا وتبيّن ما هو المراد، وتوضّحت لكلّ الأكوان مآرب الشّيطان في استماتته في الدفاع عن النّظام، وأدركت قوى الأرض أيّ معركة بدأت تُدار في هذا البلد المبارك، وتبيّن للعالم بأنّ ما يحدث من خلال سوريا أمر تُكَشَّف عن ويلٍ تارخي عميق، إنّها معركة المجروس مع المسلمين في أخطر فصلٍ من فصولها التّاريخية، وتأكّد الجميع بأنّها ليست معركة إقليمية، ولا عربية إسرائيلية، ولا استبداد وديمقراطية، إنّهم أرادوها في سوريا أن تكون شيئاً مختلفاً، فانزوت على هذا الأساس تركيا، ولمّلت أوراق الجوار ومصالح الجوار، وبدأت ترتب أوراقها على أمرٍ جديد، وكذلك فعلت أوروبا، فتوارى خطابها السابق، وبدأت تعيد النظر في موضوعها مع الحدث الداهم، أما أمريكا فقد أخذت بملمة تصرّحاتها، فالواقع جديّ على سياستها وسياسات العالم، وتوفّر في المشرق روسيا والصين، وبدأت تشير إلى الغرب بإشارات وعبارات، وتتّخذ مواقف أمام هذا التّطلع الجديد.

العالم كله يتوقف أمام الحدث، لأنّه يأخذ أبعاداً تاريخية عميقة، وسيحدث تحولات لا يمكن أحد من فهم ملامحها أو تصور أبعادها، وشعر العرب بأنّ الزلزال له امتدادات، وأنّ المستقبل يتشكل على نحوٍ جديد، ومجلس الأمن والأمم المتحدة، تهتز على جدرانهما بوصلة النّظام العالمي، وهنا نقول: إنّ ما يشعر به الشعب السوري هو استفادة أرادها الله - تعالى -، فهو بها معجزة الثبات أمام الأحداث، والتوكّل الصادق على الله أمام تردّدات النّصرة وتخاذل العالم، وأنّ ما يقع فيه العدو إنما هو سكرة الاندثار التّاريخي، تسّوّقه إلى حتفه النّهائي بخطّرسه شوهاء، وترتّب مع روسيا الهوجاء، وأنّ النّظام السوري الخازوق المنصوب بين الفريقين ستّدوسه أقدام هذا الشعب المؤمن الذي أسلم قلبه لله، ولم يستعن إلا بالله، ويعيى العون إلا من الله، وسيكون الانتصار الحق على القوى الغاشمة، وسيشهد العالم قبل هذا تجمع العرب بشكل لا يدركون أبعاده من قبل، تجمعاً يظهر هوّيتهم الحقيقية الإيمانية دفاعاً عن تاريخهم المجيد تكاففاً وتناسراً، يندفع إليها الجميع بعد ظهور دجل الدجالين وحقد الحاقدين على كلّ ما هو عربي إسلامي، أو إسلامي يمتد إلى العرب بصلة ما.

وإنّ ما أبرزه الأعداء في فضائياتهم - من شتم وسبّ وتحقير وتزوير لمعالم هدايتنا، قرآننا وسنة وصحابة وأمهات المؤمنين، وما صرّح به أتباعهم في لبنان، بأنّ لهم روابط طاعة وولاء مع أربابهم في إيران، أكثر من روابطهم مع بلدانهم وأوطانهم - لمؤشرات باهرات واضحات، لا تترك مجالاً لأصوات التّهدئة بيننا وبينهم وترقب التّواصل والتّفاهم بين دولنا ودولهم، بحجة الملة الواحدة وإيجابية الاختلاف....

فلم يترك هؤلاء فرصةً لذلك إلا وضيّعواها، شهد على هذا القاصي والداني، وإن آخر ما يُخشى - أن يقع البعض في شباكه وخداعه - هو محاولة ابتلاعهم للقضية الفلسطينيّة عن طريق النّظاهر بنصرة المقاومة، ومدّيد العون لحركات المقاومة، نتيجةً أخطائنا كعرب، وتخلينا المؤقت عن هذا الواجب، وضعف سياسات الحركات الفلسطينيّة التي يمكن اصطياد بعضها

ولكن إلى حين... وقد آن أوان هذا الحين -بإذن الله-، ولا يقولن أحد لما هذا التضخيم، وكيف يسجل الإنسان أحالمه ليقرأها الآخرون، ولكن إذا علمنا بأن تمزيق مُلك كسرى كان بسبب تمزيق لكتاب رسول الله - صلى الله عليه وسلم -، فإن ما نسمعه من مكر الأكاسرة اليوم، وإيدائهم لبيت النبوة، وتمزيق الأعراض الإيمانية الطاهرة على ألسنة الأبالسة المجوسيين، سيكون سبباً في تمزيق ملوكهم الجديد، وغطرستهم الجديدة.

وما تمرّكُ الأحداث في حمص والخالدية وبابا عمرو، إلا إشارة واضحة، وحقيقة باهرة، بأن سيف الإسلام لازال مسلولاً، وأن - ضربَ الخالد في خالديته، وعمرو الصحابي في باهه - ليشائر.. وبشائر لنصر قريب، وهزائم وبلايا لكسرى العصر الجديد.

---

الصحيح: شاء الله (نور سوريا)

المصادر: